

دراسات أربينية

موقف النقد

من الشعر الجاهلي

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

بيبة ما نشر في العدد الماضي



وفي القرن الثالث أيضا كثرت مؤلفات النقد في الشعر والشعراء؛ وكتاب ابن سلام «طبقات الشعر» مشهور وهو أول عمل أدبي منظم في النقد، وقد قسم الجاهليين عشر طبقات وأضاف إليهم شعراء الرائي وشعراء المدن العربية، ووضع في الطبقة الأولى أمراً القيس وزهيراً والأعشى والنايفة؛ ولم يسبقه إلى هذا التقسيم النبي للشعراء الجاهليين وطبقاتهم الأدبية إلا أبو عبيدة الذي قسم الجاهليين ثلاث طبقات ووضع في الأولى أمراً القيس والنايفة وزهيراً، وفي الثانية الأعشى وطرفة وابيداً. ويذكر ابن سلام في طبقاته الشعراء الاسلاميين ويقسمهم طبقات هجراً أيضا ولا يذكر أحداً من الشعراء المحدثين؛ بمكس ابن قتيبة الذي ألف كتابه «الشعر والشعراء» وذكر فيه الكثير من الشعراء المحدثين الذين عاشوا قبيل منتصف القرن الثالث؛ وهذا يدل على أن ابن قتيبة كان أكثر تقديراً للشعر الجيد وحده بصرف النظر عن ثلثه وزمنه. وهذا يذكرنا بجمع المفضل وأبي زيد الأنصاري للشعر العربي؛ فقد جمع المفضل في كتابه مختارات للشعراء الجاهليين وللقليل جداً من الشعراء المخضرمين. أما أبو زيد الأنصاري ففي كتابه الجوهرة مختارات للجاهليين والمخضرمين والاسلاميين. ثم ألف ابن المعتز أيضاً كتاباً في طبقات الشعراء المحدثين طبع أوربا ويبريه على نهج ابن قتيبة من حيث ذكر الشاعر وحياته ومذهبه الفني في شعره ونماذج من

مختارات شعره، وأول ترجمة له في السكتات هي ترجمة بشار م ١٦٧ هـ، وأقصى شاعر ترجم له ابن المنزه: النابغة م ٢٩٣ هـ ومحمد الشيرازي الذي يقول فيه المؤلف: وهو اليوم شاعر زماننا، وجميع التراجم التي يحتوى عليها السكتات والتي تبلغ أكثر من ١٣٠ ترجمة هي لشعراء عاشوا بين هذين التاريخين، وهو أوفى كتاب في دراسة طبقة بشار وطبقة أبي نواس وطبقة أبي تمام والبحتري

والقرن الرابع الهجري كان أحسن قرن بالتقدم والنقد، وظهرت فيه أصول كتب النقد الأدبي مثل: نقد الشعر لقدامة م ٣٢٧ هـ، وأخبار أبي تمام للصولي م ٤٣٦ هـ، والموازنة للآدمي م ٣٧١ هـ، وأعجاز القرآن للباقلاني م ٤٠٥ هـ، والوساطة للجرجاني م ٣٩٢ هـ؛ كما ظهر في القرن الخامس: ابن رشيق م ٤٥٦ صاحب العمدة، وابن سنان الخفاجي م ٤٦٦ صاحب سر الفصاحة، وكتاب الأسرار والدلائل لعبد القاهر الجرجاني م ٤٧١ هـ

وكان النقد في هذين القرنين يسير على نهج الحافظ، فلم يتمصّبوا للشعر الجاهلي لتقدم زمنه، ولم يعلوا على المحدثين لتأخر عصرهم؛ بل حكروا الذوق وحده في كل شيء؛ حتى نقد وقفا ومددوا لأخطاء الجاهليين، كما فعل الآدمي والجرجاني وابن رشيق وسواهم، قال الآدمي في كتابه الموازنة (١): «وما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية سلم من الظن ولا من أخذ الرواة عاينه التلظ والعيب»؛ وقال صاحب الوساطة في أول كتابه: «ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية، فانظر هل تجد فيها قصيدة تعلم من بيت أو أبيات لا يمكن لعائب القدح فيه إما في لفظه ونظمه أو ترتيبه وتقسيمه أو معناه، أو إعرابه، ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة لوجدت كثيراً من أشعارهم معيبة مسترذلة ومردودة منفية؛ لكن هذا الظن الجليل، والاعتقاد الحسن ستر عليهم، ونفي الظنة عنهم، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام (٢)»، و (٣) تصفحت

(١) الموازنة ط بيروت (٢) ص ٣ و ٤ وساطة ط صبيح

(٣) ص ٧ المرجلة

منه على غير ونبرة معروفة ولا ترتيب مقبول، وأن فيه غير التفكك وضف الصياغة كثيرا من الميوب العروضية والتكرير الساذج والافتقار المكروه والتجوز الميب الذي يؤخذ من روايته أن الشعر لم يكن فنا استقل به صناعه الخبيرون به، وإنما كان ضربا من الكلام يقوله كل قائل ويروي المحكم منه وغير المحكم على السواء (١) ، فقرأ بميابه بما يلي

١ - ضعف وحدة القصيدة ، ونحن في الرد على هذه الفكرة سكت في هاتين السكمتين : قال بولكاه السنشقي الهولندي المشهور ، « وفي أحوال كثيرة يحتفظ الشاعر الجاهلي بوحدة الفكرة في قصيدته بأن يحس كل قسم من أقسامها خاصا بوصف مناظر وحوادث من حياة الشاعر نفسه أو الحياة العامة التي يحياها البدوي في الصحراء ، وقال جميل صدق الزهاوي الشاعر المجدد : « وهناك شيء يستحبه الذين تشبهت أدمغتهم بالأدب الغربي ، هو وجوب أن تكون القصيدة الواحدة خاصة بفكرة واحدة ، أو وصفا لشيء واحد ، من غير خروج إلى غير الموضوع ، ولو كان في فصل منزلة عن الأول ، وهذا ليس من الشعر في أصله ، بل هو تابع للأذواق ولطريقة الشاعر في شعره ، ولا ينوع الشاعر البرز في العربية الموضوع في كل قصيدة ، فكثيرا ما يحصر شعره في القصيدة الواحدة في موضوع واحد ، وإذ أنواع الموضوع فهو يخرج إلى الثاني بمناسبة وبعد فصله عن الأول ، مريدا بذلك أن تكون قصيدته كالروضة التناء محتوية على مختلف الأزهار ، وهذا أقرب إلى الطبيعة ، وليس فيه ما يؤخذ عليه غير كونه يناق ما يفعله شعراء الغرب ، والسكل أمة سياق وترعة ليست لأختها ، وأعتقد أن الكتاب الذين يزرون بشعر شعرائنا على الإطلاق لو أتيح لهم أن يكونوا شعراء لما خرجوا كثيرا عن النهج الذي يمشي عليه البرزون من هؤلاء ، والسبب هو ما تقدمته من اختلاف ألوان الشعور عندنا عن ألوانه عند الغربيين ، من جهة وقيد القافية وإعرابها عندنا وفقد انه عندهم من جهة أخرى ، وقد هم كثير من الشعراء المتضلعين من العلوم المصرية بتقليد الغرب في شعره ، فلم يكن ما أتوا به غريبا ولا شرقيا ، ولم يوفقوا

تصفت ما تكلفه المحبون لهم من الاحتجاج ، وتبينت ما راموه في ذلك من المرامي البعيدة ، وارتكبوا لأجله من المراكب الصعبة ، التي يشهد القلب أن المحرك لها والباعث عليها شدة إعظام المتقدم ، والكلف بنصرة ما سبق إليه الاعتقاد وألفته النفس ، وأزرى الأمدى والجرجاني عوقف بعض النقاد التمسعين على المحدثين (١) كالأصمعي الذي أنشده إسحاق الموصلي : هل إلى نظرة إليك سبيل فيروى الصدى ويشقى الغليل إن ما هل منك تكبر عندي وكثير عن تحب الغليل فقال : إن تشدني ؟ فقال : ليمض الأعراب ، فقال : هذا والله هو الديباج الحسرواني ، فقال إسحاق : إنهما ليلها . فقال الأصمعي : لاجرم والله أن أثر الصنعة والتسكاف بين عليهما ؛ وكان الأعرابي الذي (٢) أنشده بعض الناس شعرا وهو لا يعرف فأنه فأعجب به إعجابا شديدا وكتبه فلما علم أنه لأبي نواس أنكره وقد الباقلائي في إعجاز القرآن قصيدة امرئ القيس :

قنائيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فومل نقدا طويلا ، وهو أول نقد أدبي مفصل لقصيدة من الشعر العربي ٨ - وفي المصور الوسطى ضممت المسكات وعمقت الأذواق وتمصب العلماء والأدباء للشعر القديم قديمه ، فكانوا يحيطون الشعر الجاهلي بهالة من التقديس والجلالة ولا يردن أحدا أحسن مثل إحسان الجاهليين ولا أجاد إجادتهم ، ورأوم معصومين من الخطأ والعيب والنقد ، واستمر هذا المذهب سائدا حتى العصر الحديث

٩ - وفي العصر الحديث تفاوتت ثقافات الأدباء والنقاد ، فوقف أولو الثقافات العربية الخاصة موقف الإعجاب والتقدير البعيد للشعر الجاهلي ، وهب جماعة من أولى الثقافات الأوربية يطمنون على الشعر الجاهلي ويرمونهم حيننا بالضعف والتفكك ، وحيننا بأنه منتحل مخلق . ومن الحق أن بعض نقد هؤلاء كان عادلا منصفاً ، وأما الكثير منه فكان مثالي فيه

عاب المقاد على الشعر الجاهلي أنه لا يصلح أن يكون نموذجاً يقتدى به في النظم لأنه في الغالب أبيات مبمتره تجمعها قافية واحدة يخرج فيها الشاعر من المعنى ثم يعود إليه ثم يخرج

(١) مراجعات للمقاد .

(٢) من مقال له نشر بالسياسة الأسبوعية عام ١٩٢٧ .

(١) ١٠ الموازنة ، ٥٠ وساطة (٣) ٢٨٩ - ١ زهر الآداب

إلى ربيعة فاليمين فالى الموالى ، وبذلك يمسك نظرية انتقال الشعر الجاهلى فى القبائل ، وهى نظرية مرفوعة ذهب إليها علماء الأدب المتقدمون .

وهذه الآراء والتعليق عليها موضوع بحث آخر ودراسة جديدة إن شاء الله . وقد ذكرت فى كتابى « الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى » كثيرا من المناقشة الأدبية للأفكار نفسها بمنسب .

وسببى هذا البحث بحث آخر مكمل له عنوانه « دفاع عن الشعر الجاهلى » نرجو أن يكون فيه مزيد من الشرح والتحليل والنقد لوقف النقاد فى الشعر الجاهلى وبالله التوفيق .

محمد هببر المنعم خفاجى
مدرس فى كلية اللغة العربية

إلا فى ألوان من الشعورى مشتركة بين الأمم جميعها . ومهما نعد الشاعر الكبير على الأساليب والتصورات فى أمته فهو لا يستطيع أن يطرء مرة واحدة إلى تصورات وأساليب تخالف ما ألفه شعبه فيقطع التوشائح النبوية التى تربط الحال بالمسمى .

٢ - ويبين المقاد الشعر الجاهلى ثانيا بأنه لم يكن فنا استقل به صناعه الحبيرون به ، وذلك لايسير مع الحقيقة والواقع ، وإنما هو نتاج التفاعل بين الشعر فى العصر الجاهلى وبين الأدب الجاهلى (١) : وأما مضر فكان لها فى الجاهلية شعراء يتخذون الشعر فنا يمثلون به نهضة فنية عقلية فى هذا الأقليم من جزيرة العرب :

٣ - وبعية ثالثا بهاملة صياغته وما فيه من عيوب عروضية وتكرير ساذج وتجوز معيب . وفى هذا . مثلا :

وكانت ثورة النقد الكبرى بين الدكتور طه حسين بك وبعض النقاد والباحثين حول الشعر الجاهلى ذات مدى بعيد فى دراسات الشعر الجاهلى . ويؤيد الدكتور هذا الانتحال بأدلة كثيرة : فضلا عن أنه لا يمثل اللغة الجاهلية نفسها لاختلاف اللغة الحيرية عن اللغة المدنانية الفصحى مع أنهم لم يكونوا يتكلمون بها ولم يتخذوها لغة أدبية لهم قبل الاسلام مما يدل على انتحال هذا الشعر على هؤلاء الفصحانيين ، فوق أن الشعر الجاهلى لا يصور اختلاف اللهجات المدنانية التى لا شك فيه .

ويبنى الدكتور على انتحال الشعر الجاهلى رفضه الشعر المنسوب إلى شعراء من اليمن ، لأن لليمن لغة تخالف لغة قريش وهجرة اليمنيين إلى الشمال مشكوك فيها أولا ، وليس كل الشعراء هاجروا من اليمن ، ثانيا ، وشعراء المدينة ليسوا يمنيين بل هم مضربون ، ويرى أنه ليس لليمن فى الجاهلية شعراء . أما ربيعة من عدنان وكانت تسكن فى الشمال فىرى الدكتور أن شعرها دون شعر المضربين لأنها لم تكن تتكلم لغة قريش وأما مضر فكان لها شعراء يتخذون الشعر فنا . ثم درس بعض أعلام الشعراء الجاهليين على ضوء نظريته فى انتحال الشعر ، ووضع مقاييس لتمييز المنحول من الشعر الجاهلى ، وجعل الشعر أصلا فى مضر ثم انتقل منها

مجلس مديرية الفيوم

يقبل مجلس مديرية الفيوم عطاءات لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم الاثنين ٣ يولية سنة ١٩٥٠ عن توريد (١) الكتب والأدوات المدرسية اللازمة لماده (٢) أقشة الكساوى وخامات أشغال الابرة ويقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم الاثنين ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٠ عن توريد (١) خامات قسم الأحذية والسروجية (٢) خامات قسم القش والخيزران (٣) المدد والآلات الموسيقية ويمكن الحصول على كل مناقصة على حدة مقابل مائة مليم وتقدم الطلبات على ورقة دغفة فئة ثلاثين مليم

٥١٢٩